



دراسات في الفن

هشت ... !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هشت !

- ... ما قلة الحياء هذه ؟ أنداء هذا تناديني به في الشارع ؟
 — وماذا أيضاً في هذا النداء بفضلك ؟ إنه النداء الذي كان لا بد أن تليبه . وقد ليته
 — ومن أين جاءك هذا التأكيد ؟ هل جاءك أني سميت أخيراً « هشت » ؟ أليس لي اسم تناديني به ؟
 — ومن أين جاءك هذا الاسم ؟
 — سماني به أبي ... ثقلت عليك التواقل ... ألسنت تعرف أن لي اسماً ؟
 — أعرف أنهم يطلقون عليك لفظاً يملونك به بين سائر الناس ، وأعرف أيضاً أنك رضيت بهذا الاسم وسكت عنه ولم تعارضني فيه ، ولكنني لا أذكر أنك أخذت رأبي في هذا الاسم وفي مدى صلاحه لك ، وفي قيمة المؤثرات التي أنتجتة ، وفي تحديد ما كان من هذه المؤثرات طبيعياً ، وما كان منها مصطنعاً متكلفاً ...
 — يا دين النبي ! أريد أن نعقد المفاوضات في هذا كله ، ثم نتفق على هذا كله قبل أن تناديني باسمي ؟ من يدريك أننا قد تقضى للممر في هذه المناقشات قبل أن نتفق على اسم كل منا ، فإذا فرغنا من هذا كنا قد أفرغنا قوانا فيه فلا نستطيع بعد ذلك أن نتحدث في موضوع ما ، فإذا اجتمعنا بعد ذلك قلت لك وأنا ألهمت من متاعب اسمي واسمك : تشرفنا يا من الله أعلم باسمك ، فنقول لي : « حفظكم » ، ومن يدري فملك تسألني : « و ن أين جاءك أننا تشرفنا » ؟

— هو هذا . فالاسم إذا لم يكن تبييراً صادقاً عن المسمى كان اسماً كاذباً ، وقد اعتاد الناس أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم

وهم لا يملون من أسمهم شيئاً ولا من صفاتهم شيئاً فيسمون « عفيفاً » من قدر الله له أن يكون « دينياً » ويسمون « مؤمناً » من قدر له الله أن يكون « كافرأ » ... ويسمون ما يشاءون ، والله في عبده أسماء وعلامات قد تتفق مع أسمائهم ،

وقد لا تتفق وكان يمكن للأسماء جميعاً أن تتفق مع مسمياتها ولو في الظاهر ، إذا لم يتمجمل الناس ويسموا أبناءهم ، وإذا تروشوا حتى يقضى كل فرد حياته المنسومة له في الدنيا فينظروا فيها ويستخلصوا منها الوصف الذي غلب عليه فيسموه به ... هذا هو ما كان يجب أن يحدث ولكن الناس متمجلون ، وقد رأوا أن الله وهب لهم ميزة النطق فاستغلوا بالحق وبالباطل ، وأعملوا فيها عقولهم ، وراحوا يخترعون الألفاظ والكلمات ليقتضوا بها حاجتهم العاجلة ، ونسوا أن القدر الذي هيا لهم النطق قد هيا لهم اللغة ... أو هم قد حسبوا أن أسر اللغة هذا موكول لهم فحرروا تصرفهم فيه ، ولم يقيده إلا بإرادتهم ، وإرادتهم كانت في البدء سليمة ، ولكنها أخذت تهمل وتمزق وتشمع فأصبحوا يريدون ما لا يصلح أن يكون موضع إرادة ، أو متجهاً لرغبة ، فبدأوا منذ ذلك يخطئون الكلام ، حتى تفرقوا شعوباً لكل شعب إرادة ، فتبلنت ألسنتهم وأصبح لكل شعب لسان ، وبما في هذه الألسنة جميعاً من كلام ما أنزل الله به من سلطان ...

— ينجيل إلى أنك كنت تفضل أن يكون الإنسان حيواناً صامعاً — بل كنت أفضل أن يتكلم الناس كلهم لغة واحدة ...
 فقد خلقهم الله ناطقين وليس عليهم أن يصمتوا بينما أراد الله بهم أن يسبحوه بكرة وعشياً ...
 — ولماذا لا تدعو إلى الاسبرانتو ... ما دمت تريد أن يتكلم الناس جميعاً لغة واحدة ...

— الاسبرانتو لا يمكن أن يتكلمها الناس إلا بالثلاثين في المدارس ، أما اللغة التي أطلبها فلهذا ينطق بها الناس أينما كانوا من تلقاء أنفسهم بلا معلم ، ويفهمها الناس أينما كانوا من أنفسهم بلا معلم أيضاً ...

— وهل هذا ممكن ؟ أو أنت لم يعد يربحك إلا أن تشرب إلى المستحيل ؟

— إن الذي أطلبه ممكن ويمكن ؛ بل إنه أكثر إمكاناً من الممكن ، فهو كائن وحادث

فالحیوان بتأمل وبتفكر ، ويبدو عليه ذلك ، وإن للحجار والحصان
إطرافه بينة ولها معان ، وقد أحس بعض الشعراء والأدباء والفنانين
الصادقين هذه المعاني فتاجوا الحيوان ... أفكان هؤلاء مجانين
فنانين أصحاب خيال ؟ طيب ، وما رأيك في سيدنا سليمان الذي
كان يكلم للطيور والذباب ... أفكان هذا نبياً وكانت هذه معجزة ؟
طيب ، وما رأيك في مدرسي شركات السيدا الذين علموا رن تن تن
وغيره من النجوم الحيوانات التمثيل ؟ أليس هؤلاء ممن يتفاهمون
مع الحيوانات ؟ إن التفاهم مع الحيوانات ممكن ، وإن للطبيعة
لغة ؛ وإن من المخلوقات ما لا يتنطق إلا بما توحيه الطبيعة
من للكلمات والألفاظ ، وإن منها ما يثرثر ، وليته يثرثر فما ينفع ...
تق أن الإنسان لو كان قد صبر حتى تعلمه الطبيعة الكلام لكان
قد اختدى إلى الألفاظ ينادى بها الجناد فيليه

— الجناد الجناد ؟

— الجناد وما هو أجد . ألم يقل الله في قرآنه إن هذا القرآن
لو قرئ على جبل لاندك ؟

— ولقرآن عرب

— وهل قلت لك إنه لاتيني أو يوناني ... ولكن اذهبي
واقريه على جبل وانظري أينك أم تندكين أنت ؟ إن الذي يدك
الجبل هو القرآن العربي لو قرئ بالروح والإرادة

— ولكن اللغة التي كنا نتحدث عنها لغة قلت لي إن لها ألفاظاً

— وهل أنكرت أنا أن هذه الألفاظ عربية ؟ ؛ إنما الذي
أذكره هو أننا ننطق هذه الألفاظ من أعماقنا ... أقول لك هذا
وأذكرك بأن في القرآن ألفاظاً لم يعرفها العرب قبل القرآن

— تريد السندس والاستبرق وما إلى ذلك ؟

— لا . فهذه من صنع الناس أيضاً ... وإنما أريد :

« كهيمص » ، و « حم » ، و « يس » ، و « طه » ، و « الر »
وما إلى ذلك ... هل تعرفين معاني هذه الألفاظ ؟

— لقد اختلفوا فيها أيما اختلاف ... فهل اهدت أنت
إلى معانيها ...

— ليتني أعرف معنى إحداها ، من ييمص « يس » بلسان
الآداب ودبلوم التربية ؟ ؛ هاتين الهاءتين اللتين لا تشهدان على

شيء إلا الاطلاع على ما قال القبمثرى وما قالت مونتسوري أ
هف ! أريد أن أتكلم يا رب ... ولكني أحرك شدي وأصوت

فيتشر لساني في حروف صفها أجدادى بعضها إلى جانب بعض .
هل سمعت حيواناً يتلمم ؟ هل سمعت يوماً ثوراً أراد أن يقول

— في أي عالم كائن هذا وحادث ؟ في أي دنيا وفي أي أرض ؟

— في أرضنا ودنيانا هذه ، ولكن ليس في عالم البشر ،
وإنما هو في عالم الجبر ، وفي عالم الخراف ، وفي عالم القطط ،

وفي عالم الكلاب ... في هؤلاء العالمين وفي غيرهم . هات قطعاً
من أمريكا ، وهات قطعاً من أفريقيا ، وهات قطعاً من أوروبا ، وهات

قطعاً من حيثما شئت ، واجمعها في صعيد وانظرها واسمعها وهي تعود
وتقول « نو » ثم قولي لي بعد ذلك أرايت أنها تتفاهم أم لم ترى ؟

أما أنا فأقول لك إن كلا منهما يفهم صاحبه ، ويعرف ما الذي
يريد وما الذي ينزع إليه ...

— إن كل قط يراقب حركات صاحبه فيعرف منها الذي يريد

— اخني القط عن صاحبه تري أنهما لا يزالان يتفاهمان

— بأي شيء يتفاهمان ؟

— بلغة القطط

— وهل للقطط لغة ؟ أنا لم أسمع قطعاً يقول غير « نو » ، فإذا

فرضنا أنها لفظة فهل يمكن أن يقال عن اللفظة الواحدة إنها لغة ؟

— إنها لغة ، وإنها لغة كاملة ، والقطط في الحياة الطبيعية تقضي

حاجتها جميعها بها ، وهي على هذا الفقر والجذب الذي تربته تحتفظ
بمكانة لا بأس بها بين لغات الأرض ، فالنسبة بينها وبين اللغة

الصينية كالنسبة ما بين ١ ، ٣٠٠٠ أو ٦٠٠٠ وهو أقصى إحصاء
لأقاني للغة الصينية ... وهذه نسبة تذكر من غير شك وتستحق

التأمل من غير شك ... فليس هيناً أن يكون شعب من الشعوب
عتيقاً مثل الشعب الصيني ، ولا تتباعد النسبة بين لفته ولغة القطط

أكثر من هذا البمد الطفيف . والنظرة التي أنظرها أنا إلى الشعب
الصيني هي نظرة إجلال وإكبار ، فأنا مؤمن بأنه شعب مكرم بالقداسة

والطهر والاتجاه بالنفس إلى إرضاء سنن الطبيعة المتطورة المرتقية
التي سنها الله ، وهذا هو السبب في أن اللغة الصينية لا تزال قليلة

الكلمات إلى جانب غيرها من اللغات ، فإن أهلها لا يحبون
للثروة ويستغرقون في التأمل طويلاً ، يبحثون عن أنفسهم ،

وهم لا يتكلمون إلا في الضروري من الحاجات ، وضرورتهم
الخاطئة قليلة إلى جانب ضروريات غيرم الخاطئة العاجلة ...

— إذا واقتتكت على أن الميل إلى الصمت والاستغراق في

التأمل هما السبب في قلة الألفاظ عند الصينيين فلا أظن أني أستطيع
مواقفتك على أن للتأمل هو السبب في قلة الألفاظ عند الحيوان ...

— لماذا لا يكون هذا هو السبب ... أتفكرن على الحيوان

أه بتأمل وأنه يتفكر ؟ ... من للتصنف الشديد أن يقول هذا ،

بينهما، فلا بد أن تكون كلمة الأرض وكلمة earth مما علمته الطبيعة للناس اسماً للأرض، لأن هذا التشابه لا يحدث إلا في هذه الحالة، أو في حالة أخرى، وهي أن تكون لفظة من هاتين اللتين قد أخذت هذه الكلمة من اللغة الأخرى، وهذا يستبعد أن يحدث في اسم الأرض التي هي أم الناس جميعاً والتي يعرفها الناس جميعاً، والتي لا يمكن أن يظل شجب من الشعوب غافلاً أو عاجزاً عن تسميتها، حتى يأخذ اسمها عن غيره - وماذا أيضاً؟ ...

- ليس على أن أسل بك إلى نهاية الطريق، بل يكفيك منك أن أشير إليه، فاسم إذا شئت، ولكل إنسان ما سمى. - وهبنا وصلنا إلى هذه اللغة الطبيعية التي تقول عنها. فإذا نصنع بها أكثر مما نحن صانعون بلناتنا ...

- أول ما يحدث أن ينمحي من الدنيا الكذب، فكلمات الطبيعة لا يلفظها إلا الطبع ... عندئذ يستطيع الإنسان أن يستمع إلى صاحبه بأذنه فقط، وألا يتفرس في وجهه بيمينه، ليرى مدى ما ينطبق كلامه على ما يختلج في نفسه ... عندئذ ستكتشف الأنفس وتخطب الضمائر الضمائر ... فإذا قلت لك «هشت» ...

- قلت لك «كش» ...

- فقلت لك «هم» ... هزبه أحمرة فوسمي

«بع» فقال «كع» أو قال «سع» ولكن الناس يتعلمون فلماذا يتعلمون؟ ولماذا لا يتعلمون إلا عند ما يلتفتون إلى أرواحهم وأنفسهم عند التدبر أو عند الحذر؟ أليس ذلك لأن هذه الألفاظ التي نصطنعها ليست من الطبيعة في شيء وأنها تفتت منا ما لم نوجه إليها انتباهاً خاصاً؟ أليس كذلك؟ ... - إن هذا سبب لا يمكنك أن تقطع بأنه السبب - إن أعلم هذا، وأعلم أيضاً أن كل ما قلته لك لا يمكنني أن أقطع به، كما أعلم أن القطع به يحتاج إلى تجنيد علماء النفس، وعلماء اللغات، وعلماء كثيرين غير هؤلاء يتقصون ويدرسون ويشاهدون ويجربون ويقضون في بحوثهم هذا السنين، وربما للقرون. وقد ينهون إلى تكذيب هذا الكلام وتضعيفه، ولكن ليس معنى هذا أن أحداً من الناس يستطيع منذ الآن أن يرفض هذا الكلام، فرفضه يحتاج إلى تفكير مثلما يحتاج إلى التفكير قبوله، وإن مني من القرائن والأدلة ما يحتاج إلى جهد قبل تحطيمه ...

- على منها بدليل وقرينة

- أما دليلي على أن للطبيعة لغة تعلمها للناس فإجماع الأطفال في الدنيا كلها على نداء الأب بقولهم «بابا» وعلى نداء الأم بقولهم

«ماما» ... ولا تزال اللغات تحتفظ بالباء أو ما يشبهها فيما أطلقت على «الأب» من أسماء كما لا تزال تحتفظ بالميم وما يشبهها فيما أطلقت على «الأم» من أسماء. أما القرينة ... - إن الأطفال يقولون بابا وماما لأن الباء والميم

حرفان مفرقان من حروف الشفتين، وحروف الشفتين هي أسهل الحروف وأمرعها إلى الخضوع والانسحاق للإنسان - طيب، ولماذا لا يختلج طفل فيقول لأمه «بابا» ولأبيه «ماما»؟ هل يعلم أحد هذا؟ الطبيعة تعلمه إياه. وفي لفظة «ماما» ما يشبه حركة الامتناس والرضاعة، وإن في لفظة «بابا» ما يشبه الاستنجاد بقوة الأب ... - صحيح أو كأنه صحيح ... وكنت تريد أن تستشهد بقرينة ...

- نعم. إن الأرض في اللغة المربية اسمها «أرض»، وفي اللغة الإنجليزية اسمها earth وهي تنطق إرث و«الإرث» في اللغة المربية ما يورث، والإرث في الأديان جميعاً هو الأرض أورثها الله للإنسان ... واللغة المربية بعيدة كل البعد عن اللغة الإنجليزية، وعلماء اللغات يوسمون الشقة

صدر كتاب:

وعلى المرسل

فصول في اللغز والسبب والانسحاق والانسحاق

بفلم
احمد حسن الزيات

وهو يقع في زهاء خمسين صفحة من القطع المتوسط

وتمت ٢٥ قرشا

ويطلب من مجلة الرسالة ومن جميع المكاتب الصغيرة